قسم اللغة العربية/ الآداب/ المستنصرية

المحاضرة (٩) / البلاغة العربية/ المرحلة (٢)

اسم المحاضرة/ التشبيه البليغ والمقلوب والضمني

أ.د. / عبد الباقي الخزرجي

التشبيه البليغ: وهو ما حُذفت منْه الأداة ووجه الشبه.

وهو من أرقى أنواع التشبيه بلاغةَ؛ لأنّ حذف الأداة يُوهمُ باتحاد طرفي التشبيه، مُقلصا المسافة الفاصلة بينهما من جهة، ولأنّ حذف وجه الشبه يجعل الخيال صفة مشتركة بين طرفي التشبيه

وهذا التشبيه في الحقيقة هو مجموع من (التشبيه المؤكد والتشبيه المُجمل)، فكأنّ المشبه والمشبه به واحد لحذف الأداة؛ فضلا عن أنّ وجه الشبه كلما كان قليل الحضور يحتاج في حضوره إلى تأمل فكر وذلك ادعى لاهتزاز النفس وتأثرها.

أنماط التشبيه البليغ:

أولا: أن يكون المشبه (مبتدأ) والمشبه به وصف منبئ عنه جاء بصيغة (الخبر)، كما في قول الشاعر: (فاقضوا مآربكم عجالاً إنما * أعمارُكم سفرُ من الأسفارِ).

وقول الشاعر: (عزماتهم قُضُبُ وفيضٌ اكفهم * سُحُبُ وبيضٌ وجوههم أقمارٌ)

الكلمات التي تحتها خط في المثال الأول هي التشبيه البليغ وهي المشبه (أعماركم مبتدأ)، والمشبه به (سفرُ خبر)، ومعنى الجملة أنّ عمر الإنسان قصير يشبه حالة السفر التي تنتهي سريعا ولا يشعر بها.

أما المثال الآخر فالكلمات التي تحتها خط كلها تمثلُ حالات للتشبيه البليغ جاءت على صيغة المبتدأ والخبر؛ وهي على النحو الآتي:(عزماتهم مبتدأ، وقضبٌ خبرها، وفيضٌ مبتدأ، وسحبُ خبرها، وبيضٌ مبتدأ، وأقمارٌ خبرها).

وهناك أمثلة كثيرة في القصيدة الحديثة للتشبيه البليغ مما شكّل ظاهرة بارزة فيه نذكر على سبيل المثال قول الشاعرة العراقية نازك الملائكة: (آماقٌ أعيننا رمادُ).

وقول الشاعر حسين مردان:(فالليل دفاترٌ أحزان).

وقول الشاعر حميد سعيد: (قلت هذا دمي).

وكل هذه الأمثلة فيها المشبه والمشبه به أصلهما مبتدأ وخبر.

ثانيا: أن يكون المشبه به مصدرا (مفعولا مطلقا) موضحا للنوع.

ومثال ذلك: (أقدم الجندي إقدام الأسد)، وكذلك (راغ المدينٌ روغان الثعلب).

الكلمات التي تحتها خط هي المفعول المطلق في المثالين.

ثالثا: أن يكون المشبه به (حالا)، ومثال ذلك (حمل القائد على أعدائه أسدا).

الكلمة التي تحتها خط هي(الحال).

التشبيه المقلوب: هو تشبيه يجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبهاَ.

وهو لا يختلف عن التشبيه العادي الاّ في اتجاه العلاقة التي يقيمها المتكلم بين الطرفين.

وتعود فيه الفائدة فيه للمشبه به لادعاء أنّ المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه، ففيه يلتحق الناقص بالكامل وهو يقوم كما يقول البلاغيون على إيهام أنّ وجه الشبه يكون في المشبه أقوى من في المشبه به.

ويسمى في بعض المصادر (بالتشبيه المعكوس)، والأمثلة عليه كثيرة ومتنوعة نأخذ منها:

١- قولنا: كأنّ ضوء النهار جبينٌه.
٢- قولناك كأنّ نشر الروض حُسنٌ سيرته.
٣- قول الشاعر: وذات دلٍ كأنّ البدرَ صورتها * باتت تغني عميد القلب سكرانا
٤- قول الشاعر: في طلعة البدرِ شيءُ من محاسنها * وللقضيب نصيبُ من تثنيها
٥- قول الشاعر: حسبتٌ جمالها بدرا منيرا * وأين البدرٌ من ذاك الجمالِ
٦- قول الشاعر: وبدا الصباحٌ كأنّ غرته * وجه الخليفة حين يمتدحٌ
٧- قول الشاعر: كأنّها حين لجّت في تدفقها * يدٌ الخليفة لما سالَ واديها
٨- وقولنا: كأنّ الماءَ في الصفاء طباعةٌ.
٩- وقولنا: كأنّ النسيمَ في الرقة أخلاقةٌ.

والخلاصة في هذا التشبيه أنّه مظهر من مظاهر الافتتان والابداع وقد جاء في القرآن الكريم على لسان الكفار حكاية عن قولهم (انما البيع مثل الربا)، في مقام قولهم أنّ الربا مثل البيع فعكسوا ذلك لإيهام أنّ الربا عندهم أحلّ من البيع، لأنّ الغرض الربح وهو أثبت وجودا في الربا منه في البيع المتعلق بالربح والخسارة فيكون أحق بالحلال عندهم.

التشبيه الضمني: هو تشبيه لا يوضعُ فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، لأنّه تشبيه يعقدٌ فيه الشبه بين الطرفين عن طريق التلميح دون التصريح فهو تشبيه مضمر بالنفس يلمح المشبه والمشبه به ويفهمان من المعنى ويكون المشبه به فيه دائما برهانا ودليلا على امكان ما أسند إلى المشبه.

نأخذ مثالا على التعريف قول الشاعر المتنبي:

من يهن يسهلُ الهوان عليه * ما لجرح بميت إيلامٌ

وعند تأمل معنى البيت نجد في البيت صورتان الصورة الأولى هي صورة المشبه جاءت في الشطر الأول ومفادها أنّ من يتعود الذل والهوان يكون فاقدا للإحساس وجاء في الصورة الثانية صورة المشبه به بوصفها دليلا وبرهانا على الصورة الأولى بأنّ الإنسان الميت عندما يُجرح ويقطّع لا يشعرُ بالألم بوصفه إنسانا فاقدا للإحساس لكونه فارق الحياة، وهنا اكتملت صورة التشبيه من دون وجود أطرافه أو الأداة أو وجه الشبه وذلك عن طريق التشبيه الضمني.

ونذكر الأمثلة الآتية:

١- قول الشاعر: علا فما يستقرُّ المالُ في يدهِ * وكيف تمسكُ ماءَ قُنة الجبلِ
٢- قول الشاعر: وأصبح شعري منهما في محلهِ * وفي عنق الحسناء يستحنُّ العقدُ
٣- قول الشاعر: ضحوكُ إلى الأبطال وهو يروعهم* وللسيف حدٌّ حين يسطو ورونقٌ
٤- قول الشاعر: لا تنكري عطل الكريم عن الغنى * فالسيلُ حربُ للمكان العالي
٥- قول الشاعر: إذا قامتا تضوعَ المسكُ منهما * نسيمُ الصبا جاءت بريا القرنفل
٦- قول الشاعر: فأن تفق الأنام وأنت منهم * فأنّ المسك بعضٌ دم الغزالِ
٧- قول الشاعر: كرمُ تبين في كلامك ماثلا * ويبينُ عتقُ الخيل من أصواتها
٨- قول الشاعر: ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملا * إنّ السماء تُرجى حين تحتجبُ

ويمكن ملاحظة الطرف الأول المتصل بالظاهرة النسبية يرد في الغالب في شكل جملة فعلية في حين يرد القسم الثاني في شكل جملة أسمية في أكثر الأحيان لأنه يتصل بالحكمة المستقرة في العرف البشري.